٧ ـ شاعرنا العـــالمى

أبو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ومما يدل على أن أبا العتاهية كان يحمل نفسه من أسباب اللهو ما ليس من سجيتها فى الزهد لأغراض له فى ذلك ـ ما رواه صاحب الأغانى قال : حدثنى أحمد بن عبيد الله بن عمار . قال حدثنى ابن أبى الدنيا قال حدثنى الحسين بن عبد ربه قال حدثنى على بن عبيدة الريحانى قال حدثنى أبو الشمقمق أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المغنيين ، فقلت له : أمثلك يضع نفسه هـذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك ؟ فقال له : أريد أن أتعلم كيادهم ، وأحفظ كلامهم

وهو فى أخذه بما كان يأمره به الرشيد منه ليتقى به حبسه وسجنه إنما كان يأخذ بالتقية التى يأخذ بها الشيعة ، وقد كان على ما سيأتى من رجالهم ، فجرى بذلك مع الرشيد كما جرى به مع الهادى والمهدى ، وكان إذا خرج من سجنه ، وجرى على مايهواه منه ، مضى معه كأن لم يكن هناك شىء يخفيه منه فى دخيلة نفسه ومدحه بشعره أحسن مدح ، وأخذ عليـــه منه جزيل صلاته وجوائزه ، حتى إذا غلبتـــه نفسه نبا عليه ، وأخذ فى زهده ونسكه ، وأخذ الرشيد فى الغضب عليه وسجنه وحبسه ، وأبو العتاهية رابح فى الحالين ، قاض لنفسه غرضها من مال العباسيين ، ولمذهبه السياسى الذى سنشرحه غرضه من ذم دنياهم ، والنعى على ما فى دولتهم من فساد دينى وسياسى واجتماعى .

وقد أخبر ابن أبى العتاهية أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس لزم بيته وقطع الناس ، فذكره الرشيد فعرف خبره ، فقال : قولوا له صرت زير نساء ، وحِلْس بيت ! فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمتُ بالناس وأخلاقهم ... فصرت أستأنس بالوَحْدَه
ما أكثر الناس لعمرى وما ... أقلهم فى منتهى العِدَّه

ثم قال : لا ينبغى أن يمضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها وهى :

عاد لى من ذكره نَصَبُ ... فدموعُ العين تنسكبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُهُ ... يعتريه الهمُّ والوَصَبُ
خيرُ من يُرْجَى ومن يَهَبُ ... مَلِكٌ دانت له العرب
وحقيق أن يُدَانَ له ... من أبوه النبى أب

ولما عقد الرشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة : الأمين والمأمون والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عن الرَّبع المحيل .قَعودِى
إلى ذى زُحُوفٍ جَمَّةٍ وجنود
وراع يراعى الليل فى حفظ أمة ... يدافع عنها الشر غير رَقود
بألوية جبريلُ يقدم أهلها ... ورايات نصر حوله وبُنُود
تَجَافَ عن الدنيا وأيقن أنها ... مفارقةٌ لبست بدار خلود
وشدَّ عُرَى الاسلام منه بفتية ... ثلاثة أملاك ولاة عهود
هُمُ خير أولاد لهم خير والد ... له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفى هارون حول سريره
نَفِيرُ قيـــامٍ حوله وقُعود

ويرينا (أبسن) أن أعلى أنواع الواقعية فى الدرامة كما فى كل فن آخر ـ إنما يعتمد على الخيال القوى الوثاب الذى يستطيع أن يعالج مسائله الشخصية معالجة يفهمها الجميع وتصل إلى كل القلوب حتى لقد تبدو لها وكأنها مسائلها هى لا مسائل الشاعر ، ونبضاتها هى قد سجلت على الورق لانبضات الكاتب النرويجى أو الروسى أو الانجليزى ؛ وعلى هذا فقس معنى أدق مما كان يقصده الفيلسوف الأغريقى (أرسطو) تكون شخصيات مثل هـذه الدرامة (مثلنا تماماً)

فليست الواقعية وليدة بحث علمى أو مذهب أوعصر خاص ، بل هى جزء لاينفصل عن الشاعرية الفذة والخيال القوى الذى يصور لك ما يرسمه تصويراً حياً قوياً ، يجعلك تراه وتؤمن به وتشترك فيه حساً وعاطفة وفكراً

محمد رشاد رشدى
بكالوريوس بامتياز فى الأدب الانجليزى

تقلّب ألحاظَ المهابة بينهم عيونُ ظباء فى قلوب أسود
خدودُهمُ شمسٌ أتت فى أهلة تبدت لراءٍ فى نجوم سُعُود

فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعراً قط

ثم انقضى عهد الرشيد وجاء بعده عهد ابنه الأمين ، وحصل ما حصل من الخلاف بينه وبين أخيه المأمون ، فاضطرب أمر الدولة ، ووجد أبو العتاهية من ذلك ما يساعده على المضى فى سبيله من الزهد ، واستخدام شعره فى دعوة الأمة إليه ، وتهوين أمر الدنيا التى فتنوا بها عن الآخرة ، ولم يعد يقول الشعر فى التغزل والمجون وما إليهما ؛ ولكن لم يقطع صلته بملوك العباسيين ولم يتحرج من مدحهم الحين بعد الحين طمعاً فى أموالهم . وسنتكلم بعد فى أمر ذلك الزهد

حدث عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويع الأمين محمد بسنة فاذا شيخ عليه جماعة وهو ينشد :

لهفى على وَرَقِ الشباب وغصونه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهب الشباب وبان عنى (م) غير مُنتَظَرِ الايابِ
فلأبكينّ على الشبا ب وَطيبِ أيام التصابى
ولأبكينّ من البِلى ولأبكينّ من الخضابِ
إنى لآملُ أن أُخَلَّ دَ والمنسية فى خِلاَبى

قال فجعل ينشدها وإن دموعه لتسيل على خديه ، فلما رأيت ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها ، وسألت عن الشيخ ، فقيل لى: هو أبو العتاهية

وحدث حبيب بن الجهم النميرى قال : حضرت الفضل بن الربيع متنجزاً جائزتى وفرضى ، فلم يدخل عليه أحد قبلى ، فاذا عون حاجبه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يسلم عليك ، وقد قدم من مكة ، فقال : أعفنى منه الساعة يشغلنى عن ركوبى ، فخرج إليه عون فقال : إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين ، فأخرج من كمه نعلاً عليها شراك مكتوب عليه :

نعلٌ بعثت بها ليلبسها قرْمٌ بها يمشى إلى المجد
لو كان يصلح أن أشرّكها خدّى جعلت شراكها خدى

ثم قال لعون قل له إن أبا العتاهية أهداها اليك ، فدخل بها عليه فقال له احملها معنا ، فلما دخل على الأمين أخبره بها ، وأنه رأى أن أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها ، فقرأ الأمين البيتين فقال : أجاد والله وما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له عشرة آلاف درهم ، فأخرجت والله فى بدرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وانصرف

ولما تولى المأمون بعد أخيه الأمين حسن حال أبى العتاهية فى عهده ، وكان المأمون أحسن حالاً من الملوك العباسيين قبله ، فقرب أبا العتاهية منه ، وأكثر من بره وصلته والاحسان اليه بما لم يفعل مثله معه سلفه ؛ ومن ذلك أن أبا العتاهية كان يحج كل سنة ، فاذا قدم أهدى إلى المأمون برداً ومطرفاً ونعلاً سوداء ومساويك أراك ، فيبعث اليه بعشرين ألف درهم

ودخل عليه مرة فأنشده :

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يُواس الناس من فضلها عرّض للأدبار إقبالها

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ، فأما الثانى فما صنعت فيه شيئاً ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها ، وإنما توجب السماحة بها الأجر ، والضن بها الوزر . فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص ، فأمر المأمون بأن يدفع اليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أوْدَى به الموت لم يأخذ الأهبة للفوت
من لم تزلْ نعمته قبلَه زال من النعمة بالموت

فقال له : أحسنت ، الآن طيبت المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم

فاذا رأينا المأمون بعد ذلك يزهد فى هذا الملك العظيم لأهله من بنى العباس ، ويؤثر به من بعده الامام علياً الرضى من آل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فيزوجه بنته أم حبيب ، ويجعله ولى عهده ، ويضرب اسمه على الدينار والدرهم ، فان لشعر أبى العتاهية أعظم الأثر فى ذلك ؛ وهذه هى النتيجة والثمرة التى جاهد به من أجلها ، فقد سعى فى تزهيد الناس فى كل أسباب الدنيا والتكالب عليها ، ليزهد العباسيين فى التكالب على هذا الملك

الذي يملكونه منها ، ويعودوا به إلى سيرته الأولى ، فيتولاه أصلح الناس له ، ولا يستأثر به أحد على غيره ؛ وهذا هو ما فعله المأمون مع علي الرضا ، فقد كان بمدينة مرو وفيها علي ، فاستحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء ، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار ، واستدعى علياً فأنزله أحسن منزلة ، وجمع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا ، فبايعه وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ؛ وقد قام بسبب ذلك تلك الفتنة المعروفة بينه وبين عمه إبرهيم بن المهدي ، فقضت على تلك الفكرة الصالحة ، ومضى العباسيون في أمرهم إلى أن ملكهم خولهم وجنودهم من الترك وغيرهم ، وانتهى أمرهم بتلك النكبة التي انتهى بها ، ولا يعلم إلا الله ماذا كان يعود من الخير على المسلمين لو تم للمأمون من ذلك ما أراده ، ورجع أمر المسلمين إلى ما كانوا عليه من الشورى في عهد النبوة والخلافة

وقد بلغت سن أبي العتاهية في عهد المأمون تسعين سنة ، وأدركه أجله في تلك السن سنة ٢٠٩هـ وقيل سنة ٢١١هـ .

وروى محمد بن أبي العتاهية قال : آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه :

إلهي لا تعذبني فاني ... مقرٌّ بالذي قد كان مني
فما لي حيلة إلا رجائي ... لعفوك إن عفوتَ وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا ... وأنت عليَّ ذو فضل ومنِّ
إذا فكرتُ في ندمي عليها ... عضضتُ أناملي وقرعتُ سني
أجَنُّ بزهرة الدنيا جنوناً ... وأقطع طول عمري بالتمني
ولو أني صدقتُ الزهد عنها ... تلبتُ لأهلها ظهر المجنِّ
يظن الناس بي خيراً وإني ... لشر الخلق إن لم تعف عني

ثم أمر أن يكتب على قبره

أذن حيٍّ تسمي ... إسمي ثم عي وعي
أنا رهنٌ بمضجعي ... فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة ... أسلمتني لمضجعي
كم ترى الحيَّ ثابتاً ... في ديار التزعزع
ليس زادٌ سوى التقي ... فخذي منه أوْ دعي

عبد المتعال الصعيدي

٢٩ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

تتمـــــة الحوار

فهذه الأنهار عديدة وقوية ومنوعة ، منها أربعة رئيسية أعظمها وأقصاها نحو الخارج هو ذلك المسمى بالاقيانوس oceanus الذي يجري في دائرة حول الأرض ، ويسير في الاتجاه المضاد له نهر أشيرون Acheron الذي يجري تحت الأرض في ربوع جدباء حتى يصب في بحيرة أشيروزيا Acherusian Lake : هذه هي البحيرة التي تذهب إلى شواطئها أرواح الدهماء حين يدركهم الموت ، حيث يلبثون أجلاً مضروباً ، يكون طويلاً لبعضها قصيراً لبعضها الآخر ، ثم تعود ثانية لتحل في جسوم الحيوان . وينبع النهر الثالث فيما بين ذينك النهرين ، وهو يصب على مقربة من منبعه في منطقة شاسعة من النار ، حيث يكوّن بحيرة أوسع من البحر الأبيض المتوسط ، يغلي فيها الماء والطين ، ثم يخرج منها عكراً مليئاً بالوحل ، فيدور حول الأرض حتى يبلغ فيما يبلغ من مواضع أطراف بحيرة أشيروزيا ، ولكنه لا يختلط بمائها ، وبعد أن يتحوى في عدة ثنايا حول الأرض ، يغوص إلى جهنم أدنى مما كان مستوى . هذا هو نهر بيرفليجثون Pyriphlegethon — كما يسمى — الذي يقذف في كل مكان بفوارات من النار . ويخرج النهر الرابع في الجهة المقابلة ، ويسقط أول ما يسقط في منطقة همجية متوحشة ، تصطبغ كلها باللون الأزرق القاتم الذي يشبه حجر اللازورد ، وهذا النهر هو ما يسمى نهر ستيجيا Stygian River وهو يصب في بحيرة ستكس Styx التي يكوّنها ، وبعد أن يصب في البحيرة ويستمد لمائه قوى عجيبة ، يجري تحت الأرض ، دائراً حولها في اتجاه يضاد نهر بيرفليجثون ، ويلتقي به في بحيرة أشيروزيا من الجهة المقابلة ، ولا يختلط ماء هذا النهر أيضاً بغيره ، بل يجري في دائرة ويتدفق في جهنم ، مقابلاً لنهر بيرفليجثون ويسمى هذا النهر كوكيتوس Cocytus كما يقول الشاعر

تلك هي طبيعة العالم الآخر ، فلا يكاد الموتى يصلون الى حيث تحملهم شياطينهم وحداناً حتى يقضى في أمرهم بادئ ذي